حـــــــوار

مع تزايد الانقسامات والصراعات فى العالم العربى . والتراجع الخطير الذى اصاب القضية الفلسطينية ، بدأت فى الصحف المصرية نغمة جديدة تتحدث عن دور مصر (القيادى) فى العالم العربى ، وتصور عودة مصر الى الساحة العربية على انها الحل لكل المشاكل ، والطريق الى الخروج من كل الازمات .. !!

ومصر ـ بطبيعة الحال ـ لها وزنها الحضارى داخل العالم العربى بكل ما تمثله من تاريخ ـ ومن قيم ـ وبكل ما يتوفر لها من صدق العقيدة .. وصدق النوايا ..

لكن الخطأ الذى تقع فيه بعض الاقلام هو الخلط بين (وزن) مصر الحضارى (ودور) مصر القيادى ..

فوزن مصر فى العالم العربى ضارب فى اعماق التاريخ ، ومرتبط بعروبة مصر ذاتها ، أما (دورها) القيادى فانه قد ارتبط ـ على مر العصور ـ بقوتها الذاتية ، وقدرتها على العطاء ..

وبدون العودة الى التاريخ القديم ، فان مصر كانت تقود الجامعة العربية منذ انشائها ، بل وكان لها ايضا دور القيادة ـ والريادة ـ فى انشاء الجامعة ذاتها ، وكانت مصر ـ عند انشاء الجامعة العربية ـ تملك مقومات هذا الدور وتقدر على القيام به ..

● كانت مصر تمثل شعاع العلم والثقافة ، وسط منطقة يسود فيها الجهل والامية ، وتعتمد على المدرسين المصريين ، والمعونات الدراسية فى تعليم اعداد محدودة من ابنائها .. وبدون هذه المعونة من مصر ـ وكانت كلها هبات مجانية ـ لم تكن المنطقة تعرف من التعليم الا أسلوب الكتاتيب .. !!

● وكانت مصر تمثل القوة الاقتصادية الحقيقية ـ والوحيدة ـ فى المنطقة ، ويشترك فى خلق هذه القوة انتاج زراعى وفير ، وانتاج صناعى خرج بالفعل الى ميدان المنافسة العالمية ، وحقق ذلك كله فائضا أتاح لمصر ان تساند دولا محدودة الموارد ، وأن تقدم اليها المنح والهبات .. !!

● وكانت مصر أسبق بلدان المنطقة فى انشاء الجامعات ، ولادخال وسائل الحضارة الحديثة كالصحافة والاذاعة ، والسكك الحديدية والنقل البحرى والجوى وغيرها ..

ثم تغيرت الصورة بسبب عاملين محددين :

الاول : ظهور البترول . وما أدى اليه من فوائض هائلة استطاعت ان (تشترى) من الخارج كل مقومات المدنية الحديثة ، كما استطاعت ان تشترى ـ من مصر ذاتها ـ كل ما تحتاج اليه من خبرات لاقامة وتشغيل هذه المقومات .. !!

الثانى : تدهور خطير فى قدرة مصر الاقتصادية ، نتيجة لشعارات ومغامرات طائشة ، استنفدت مواردها ، واستهلكت طاقتها ، وحولتها الى دولة (مدينة) تعتمد على القروض والمساعدات ، بعد ان كانت (دائنة) للامبراطورية البريطانية بمئات من ملايين الجنيهات الاسترلينية .. !!

وخرجت دول كثيرة الى ميدان السباق تنافس مصر على (دورها القيادى) مسلحة بالذهب القادر على شراء (الكثير) أو بالشعارات القادرة على (افساد) كل شىء .. !!

ولكى نكون واقعيين مع أنفسنا ، فان مصر لن تسترد دورها القيادى فى العالم العربى الا اذا اعادت تقييم قدراتها من جديد ، لتكتشف ما يميزها ـ فى عالم اليوم ـ عن غيرها من دول الذهب والشعارات ..

والذى يميز مصر ـ حقيقة ـ هو تاريخها العريق فى الديموقراطية وسط منطقة يتزايد فيها قهر وتزييف شعوبها تحت وطأة (الحكم) الدكتاتورى ، أو (التحكم) القبلى ..

فاذا استطاعت مصر أن تعيد بناء ديموقراطية حقيقية ، تستند الى رصيدها الكبير ، وقدرتها على التطور والاضافة ، فانها سوف تشد بالضرورة أنظار كل الشعوب فى المنطقة ، وتصبح بغير منافس نموذجا لحكم الشعب تتطلع اليه ـ وتلتف حوله ـ كل القوى الديموقراطية فى العالم العربى ، وهى القوى التى تناضل فى كل مكان للتخلص من الحكم الدكتاتورى والقبلى الذى امتهن كرامتها ، وبدد طاقتها ، وكان السبب الاساسى فى كل ما يمزقها الان من صراعات ومن ضياع .

ان الديموقراطية هى السلاح الوحيد الذى تملكه مصر لتقوم (بدور قيادى) ومن العار انها لم تستخدم ـ حتى الان ـ هذا السلاح القادر وحده على أن يعيدها الى مكانها الصحيح .. !!

احمد طلعت